وانختم على مجلدات ستة . ولما عاد ابن الخطيب الى الاندلس ، بعودة جدنا الغنى بالله تعالى الى ملكه عام ثلاثة وستين وسبعمائه ، تلاحقت الفروع من كتاب الاحاطة بالأصول ، وانجز من التبجر فيه الوعد المطول ، ووضعت بخانقاه سعيد السعداء النسخة المتممة من اثنى عشر سفرا »

فها نحن اذن ازاء نسخ ثلاث من كتاب الاحاطة صدرت جميعا عن المؤلف : كتبت أولاها قبل سنة ٧٦٣ ، وكتبت الثانية قبل سنة ٧٦٨، وكتبت الثالثة بعد سنة ٧٧١ . ولعل هنالك مما صدر عن المؤلف غير هذه الثلاث . وبين الأولى والثانية من التفاوت ما رأينا . ولا بد أن تتفاوت جميعا على كل حال ، اذ كان الرجل فى اصداره لها مؤلفا وليس ناسخا ، واذ كان معنيا بتسجيل احداث عصره والاحاطة بها وملاحقتها .

واذن فالادعاء بان نسخة رواق المغاربة ليست الا قطعة من مختصر الاحاطة ، لان هناك نسخة أخرى تزيد عليها ، ادعاء يعتمد على غير أساس .

وبذلك يسقط ما اعتبره الاستاذ الناشر فى هذه النسخة ، مما أخرها عنده عن موضعها ، وأهدر حقها الأصيل فى تقويم نص الاحاطة على الأصول العلمية .

طه الحاجرى

بنغازى

الاستبصار فى عجائب الأمصار

لمؤلف مراكشى مجهول : كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، رقم ١٠ من مطبوعات كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

للدكتور سعد زغلول عبد الحميد ، ناشر هذا الكتاب ، الفضل فى نشر نصف هذا الكتاب لأول مرة فى نصه العربى ، وقد شفع هذا الفضل بآخر وهو ترجمة ما نشره عربيا لأول مرة الى اللغة الفرنسية .

وبذلك أتم الدكتور سعد زغلول ما بدأه فون كريمر بالنسبة للنص العربى ، وأتم كذلك ما بدأه فانيان منذ عام ١٩٠٠ بالنسبة لترجمة النص العربى الى اللغة الفرنسية . فاذا ذكر كتاب الاستبصار هذا فلا بد أن يقرن اسم الدكتور سعد زغلول الى جانب اسمى فون كريمر وفانيان لأن دوره وحده فى هذا الكتاب يعادل دوريهما معا .

وكان فون كريمر قد عنى بهذا الكتاب منذ أكثر من قرن ، ثم رأى فانيان فى أول هذا القرن أن يترجم هذا الكتاب الى الفرنسية لينتفع به من لا يعرفون العربية أو من لا يتقنونها . ولفانيان دور مشكور فى ترجمة كثير من الكتب العربية الى الفرنسية .

فلما عنى الدكتور سعد زغلول بهذا الكتاب أثناء تحضيره لدرجة الدكتوراه فى السربون وجده ناقصا لأن سلفيه العالمين نقلا عن مخطوطات ناقصة ، ووجد الناقص جديرا بالنشر والتسجيل : فقد كان الناقص : فصولا خاصة ببلاد غمارة ، واستقرار الأدارسة بالمغرب ، وزندقة برغواطة ، ومدينة سجلماسه ، وبداية العبيديين الفواطم ، ومدن درعة وأغمات ونفيس وتنملل ومراكش ، وكذلك الفصول الخاصة ببلاد السوس المتاخمة لبلاد السودان (أنظر ص : أ) . ومن شأن مثل هذا النقص أن يحرمنا من معلومات تاريخية وجغرافية قيمة . ولهذا واصل الدكتور سعد زغلول العناية بالكتاب وجعله رسالته التكميلية . ثم عنى بطبعه وشجعته على ذلك جامعة الاسكندرية حتى خرج الكتاب فى ثوب أنيق منشورا على الأصول المصطلح عليها فى النشر .

ومؤلف الكتاب مجهول • ولهذا لا نعرف عنه الا ما أورده المؤلف من اشارات الى نفسه أو موطنه أو ظروف تأليف الكتاب •

والمؤلف يقول بنفسه ان الكتاب الذى يقدمه مأخوذ من كتاب أقدم مع تحقيقات واضافات هى كل ما استجده • ثم يعدنا المؤلف بكتاب أوفى • ولا نعلم ان كان قد بر بوعده أم حيل بينه وبين ما كان يطمح فيه • ولكننا نقرر أن الأخذ بالنص عن المؤلفين السابقين كان منهجا علميا معترفا به فى جميع العلوم النقلية مثل الجغرافيا والتاريخ والتراجم والأخبار الأدبية • ولهذا فنحن نفهم قوله على أنه اراد أن يقرر انه اتبع المنهج السليم المصطلح عليه مع التنبيه على ما أضافه • وقد شرح الخطيب البغدادى أصول المنهج فى العلوم النقلية فى كتابه تقييد العلم ، فارجع اليه •

أما موطنه فالراجح أنه بلاد مراكش ، ووجه هذا الترجيح أن أخباره عن مكناسة وفاس ومراكش تبلغ من الدقة حدا لا يصله الا المقيم بهذه المدن • بل ان المؤلف يتجاوز حد التعريف الى حد رسم الخطط العمرانية لمراكش •

أما عن ظروف تأليف الكتاب ، فان التأليف عاصر سفارة ابن منقذ (٥٨٧/٨) من لدن صلاح الدين الأيوبى الى ثالث خليفة من خلفاء الموحدين وهو المنصور ابو يوسف يعقوب (٥٨٠ — ٥٩٥) • والكتاب مهدى من صاحبه الى الشيخ أبى عمران بن أبى يحيى بن وقتين • ولا نعرف عن المهدى اليه شيئا غير أنه ممن يصلون العلماء والفقهاء شأن الأعيان البارزين ذوى الجاه والثراء • ويظهر من ناحية أخرى أن المؤلف قد اطلع على سجلات الموحدين اما بحكم وظيفته أو بطريقة أخرى • وهذا أمر تزداد به قيمة الكتاب من حيث صحة الأخبار وجديتها •

ويرجح الدكتور سعد زغلول أن يكون المؤلف أحد كتاب الدواوين وهو ابن محشرة القيسى ، ولكنه ترجيح مفتقر الى أدلة أقوى وأصرح •

والكتاب من حيث موضوعه من كتب الجغرافيا العربية ، وقد جرى الجغرافيون المسلمون على ترصيع هذا النوع من الكتب بأخبار مختلفة فى نوعها فيها غناء كثير فى بعض الأحيان • ثم اننا اذا عرفنا ان الكتاب قصر عنايته على الحرمين ومصر

والمغرب عرفنا أنه يجب أن يوضع بين كتب الرحلات المؤلفة لغرض خاص هو انتفاع الحجاج بها ، مع اضافات لا يجب أن تخدعنا عن الغرض الأصلى • ولهذا وصف المؤلف مناسك الحج وصفا دقيقا مستجيبا لحقيقة هامة لا جدال فيها هى أن هذه التفاصيل عزيزة فى قلوب الحجاج كما نعهد فيهم بالتجربة الى اليوم •

وينضاف الى ذلك عنايته بالمدن الواقعة على طريق الحج ، مع ذكر عجائب الأمصار • وأغلب الظن أنها مادة للسمر والتشويق • وأهم من ذلك كله بالنسبة لنا ذكر أخبار المغرب فى كثير من الدقة على عهد الموحدين خاصة ، ووصف الآثار التى أنشأها أمراء الموحدين الثلاثة الأوائل وهنا نلمس أن المؤلف معاصر متصل بالحوادث مطلع على السجلات الديوانية •

وينقل المؤلف فيما عدا تحقيقاته الخاصة عن المسعودى (+ ٣٤٥) وابن وصيف شاه (+ ٣٠٠٠هـ تقريبا) وعن ابن عبد الحكم، والبكرى والادريسى • وتظهر آثار النقل فى ورود اشارات الى أخبار سابقة بكثير على عهد المؤلف •

تشكر الناشر لرجوعه الى مخطوطات جديدة غير مخطوطة فون كريمر التى لا يعرف اليوم مصيرها • وقد ذلل الناشر الصعبات التى لقيها ، برغم أنه لم يجد بين يديه غير مخطوطات متأخرة مملوءة بأخطاء النساخ • وقد نستطيع ان نقترح عليه بعض القراءات الخاصة وان ننبه على بعض هنات فى كشاف الأسماء • ولكن ما يوجد من ذلك تافه لا يذكر بالنسبة لما بذل من مجهود جليل •

محمد عبد الهادى شعيرة